رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي الأوروبي قال لـ»أخبار اليوم» إن الإرهاب ليس نتيجة ميكانيكية للفقر والجهل بل هو مرتبط بفهم خاطئ للإسلام

الجالية المغربية هي الثانية بأروبا بعد الجالية التركية، وهي تقدر بما يقارب أربعة ملايين

بشاري: صورة الإسلام ضحية تقصير المسلمين

غالبا ما كانت العلاقة بين الغرب والإسلام علاقة يشوبها الكثير من المد والجزر، صراع وحوار وغزو مرة من الجنوب وتارة من الشمال، لكن مرحلة ما بعد الحادي عشر من شتنبر رسمت صورة مفزعة لدى المجتمع الغربي عن الإسلام، في هذا الحوار يتحدث رئيس المؤتمر الإسلامي الأوروبي وأحد أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم الإسلامي محمد بشاري إلى أخبار اليوم عن واجبات وحقوق مسلمي اوروبا ويتحدث أيضا عن مستقبل المسلمين في أوروبا وأدوارهم المفترضة.

■ حاوره: محمد أحمد عدة ■

□ ألم يحن الوقت بعد لكي يشكل المسلمون في أوروبا لوبيات ضغط ويتمكنوا بالتالي من الدفاع عن مصالحهم الاجتماعية والثقافية والعقائدية؟

● **لابد من التذكير أولا أن علاقة أوروبا بالإسلام علاقة قديم، فقد كانت دائما هناك سياقات تاريخية تحيط بما يمكن أن نسميه توطين الأقليات المسلمة. لقد فتح الإسلام أوروبا من جهتي الجنوب والشرق، كما أن الاستعمار الأوروبي للعالم الإسلامي أدى إلى وصول أجيال من المسلمين وهو ما أصبح أمرا واقعا داخل المجتمع الأوروبي، طبعا في أوروبا هنالك مسلمون أوروبيون مثل مسلمي ما كان يعرف بالاتحاد اليوغوسلافي مثلا، وهناك عمال استقدموا لتشييد وإعادة بناء أوروبا المخربة بفعل حربين عالميتين، وهم من شمال إفريقيا أو الهند وباكستان، فيما بعد، مع فشل المشاريع السياسية للدول الإسلامية الخارجة من الاستعمار حج لاجئون سياسيون ومثقفون وطلبة إلى أوروبا، وهناك المهتدون وهم من اعتنق الإسلام من سكان أوروبا الأصليين.. المسلمون اليوم في القارة العجوز يقدرون بـ 50 مليون مسلم.**

ولابد من الإشارة إلى أن الجالية المغربية تصنف في المرتبة الثانية بعد الجالية التركية، وهي تقدر بما يقارب أربعة ملايين شخص. الاستقرار الإسلامي بأوروبا سيجعل الأجيال اللاحقة كالجيل الثالث والرابع يطلقون حلم العودة إلى البلدان الأصلية لأنهم يشعرون أنهم جزء من النسيج الاجتماعي الأوروبي.

□ هل لهذا الوجود تأثير فعلي على الواقع السياسي والاجتماعي هناك؟

● **أيضا إحصائية جد هامة تتعلق بالناخبين المسلمين بأوروبا، وهم يشكلون نسبة ما بين 17 بالمائة و 21 بالمائة، ولقد تتبعتم كيف أن الناخب المسلم يؤثر بشكل رئيس في الانتخابات الرئاسية في عدد من البلدان، ففي فرنسا يشكل المسلمون نسبة 2.3 إلى 5 بالمائة من الأصوات التي تحسم ساكن «الاليزيه». المسلمون بدأوا في استعمال أصواتهم وبدأوا يصلون إلى مراكز مهمة ومناصب سيادية، حزب الخضر في ألمانيا أصله تركي. أوروبا تعي هذا جيدا وقد بدأت تتصالح مع إسلامها، خاصة بعد مرور فترة على الحقبة الامبريالية.**

الشعوب الأوروبية أيضا تعودت على وصول مسلم أو مسلمة إلى الحكومات والبرلمانات. لكن عندما نطرح سؤال ماذا حقق هذا الوجود من مكاسب؟ أقول أنه على المستوى الاجتماعي هناك مطالب تتحقق، لكن على مستوى القضايا الكبرى المصيرية والحساسة ككقضية فلسطين أو قضية الصحراء المغربية فلا جديد.

□ ماهي الأدوار التي يجب على مسلمي أوروبا لعبها في الظرفية الراهنة خصوصا مع التغيرات الاقتصادية والثقافية والسياسية؟

● **الوجود العربي الإسلامي عاش تحولات كبرى وهو يتجاوب مع جميع التحولات، لقد أقررنا في المؤتمر الإسلامي الأوروبي سنة 2010 أن المسلمين جزء من التشكيلة الاجتماعية، واعتقد أن الغالبية العظمى تخلصت من عقدة الانتماء وسؤال الأصل. بعد أحداث الحادي عشر من شتنبر بدأت مهام أخرى، كان على النخب الإسلامية أن تعمل على تأصيل مفاهيم المواطنة والانتماء إلى أوروبا من جديد، لكن ما حدث هو أن هذا الاشتغال شابته الكثير من المشاكل، وتم نقل صراعات وتصفية حسابات وتصديرها إلى أوروبا، نحن نعمل على التأصيل الفقهي لمفهوم المواطنة، ونعمل على تجذير الوعي بضرورة تحسين الوضع الاجتماعي، والاندماج الإيجابي.**

الدول المصدرة للهجرة لا تلعب أي دور إيجابي على هذا المستوى، عليها أن تلتزم الحياد وألا تنقل صراعاتها المذهبية أو السياسية. يجب على الدول الإسلامية المصدرة للهجرة أن تكف عن استعمال الطابور الخامس داخل أوروبا، وبكل أسف لم تلعب الدول الإسلامية المصدرة للهجرة دورها الحضاري، وعمدت إلى نقل أمراضها الإيديولوجية وفكرها الصدامي.

لقد دفعنا (ولازلنا) فاتورة 11 شتنبر رغم أنه لا علاقة لمسلمي أوروبا بهذا التطرف، وفي المقابل ليس هناك أي عطاء للدول الإسلامية، وإذا تم تحقيق مبادرة ما، كما تفعل دول الخليج حين تقوم بتشييد المراكز وبعض المؤسسات، فإنها تبقى حبيسة الجدران، وتكلف بها من لا يستوعب خطورة المرحلة.

أقول إن أحداث الحادي عشر من شتنبر وما تلاها من أحداث في العالم العربي، أبان عن نتيجة مهمة وهي فشل الإسلام المؤسساتي بالعالم الإسلامي، كالمجامع ووزارات الأوقاف ودور الإفتاء، لأنها لم تستطع أن تستقطب الإسلام الشعبي. ليست الصوفية هي الحل، لابد من إعادة النظر في أدوار هذه المؤسسات.

□ التعامل الأوروبي المهين والدوني مع الإسلام والمسلمين هل هو بسبب النموذج الفاشل لمسلمي أوروبا أم أن هناك خلف ذلك أسباب أخرى؟

> **يجب أن نميز بين الغرب الإثني والغرب الجغرافي والغرب الثقافي**

● **حسب تتبعي للحالة، فتاريخ 10 من شتنبر 2001 يمثل تاريخ الفصل بين أصحاب الفكر المتعصب والمتعنت وأصحاب فكر ما بعد الأحداث، ويمثلهم الغرب الذي من المفروض أن يكون متنورا ومتحررا ويستطيع أن يفرق بين الإسلام والتعصب، وهو الفصل الذي فشل فيه.**

لقد عزا الأوروبيون، بقراءة مادية محضة، التطرف إلى الفقر والجهل، لكن هذا الفهم أصبح متجاوزا، فالإرهاب يعني أن هناك فهم خاص للإسلام وليس نتيجة ميكانيكية للفقر أو الجهل.

سأعطي مثالا بموضوع الكاريكاتير، في أوروبا هناك مسألة أساسية هي إدارة الواجبات، واجب مقدس وهو حرية التعبير والرأي، وواجب مقدس آخر هو حرية الاعتقاد وحق الشخص والجماعة في احترام معتقداتها وما تعتبره مقدسا، الغرب لم يجد إلى اليوم مسلكا رشيدا أمام حرية الجماعة وحقها في حماية رموزها.

المظاهر الخطيرة التي نعيشها، لها جذور تاريخية وعوامل خارجية تعززها، لقد بحثنا في منظمة المؤتمر الإسلامي الأوروبي عن صورة المسلم في الكتب المدرسية في 27 دولة، وتوصلنا إلى أن هذه الكتب تقدم صورا مغلوطة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالمرأة والحريات والجهاد، ما جعل كل ناشئ أوروبي يعتقد أن وراء كل محمد وفاطمة مشروع إرهابي.

□ أوصى البيان الختامي للمؤتمر الدولي حول مكانة الإسلام في أوروبا الجديدة، بضرورة رد الاعتبار إلى الإسلام داخل المجتمعات الأوروبية، أين هي هذه التوصية في تدابيركم؟

● **التدابير المعول عليها لتحقيق التصالح والمصالحة لا يمكن أن تتم إلا من خلال هذه الجاليات، الدول الإسلامية لا يمكن أن تقوم بهذا الدور، لأنها أولا غير مؤهلة، وإن كانت مؤهلة فالغرب لن يسمح لها بالتدخل، هنا يمكن للمجتمع المدني الإسلامي بأوروبا أن يلعب دور الجسر، على أساس أن المسلمين بأوروبا يتمتعون بكافة حقوق المواطنة لأنهم جزء من النسيج المجتمعي العام.**

لقد عملنا في هذا الصدد بإشراف «الإيسيسكو» و«اليونيسكو» و«الإليكسو» (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) على إصدار كتاب أبيض يتضمن توصيفا دقيقا للصورة النمطية للإسلام والمسلمين في المناهج الغربية، مثلا عندما يقرأ تلميذ أن المسلم مغتصب أو سفاح أو يفهم أن الجهاد يعني القتل، ماذا تنتظر؟ كما أن تأسيس البرلمان الأوروبي للقيادات الدينية يمكن أن يفيد بنجاعة في هذا الباب. لقد وضعت آليات للتصحيح ثم طالبنا بتفعيل قرارات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي الداعية إلى احترام الأديان والمعتقدات.

□ من أسباب قيام المؤتمر مواجهة «الإسلاموفوبيا» والتشويه المتعمد للإسلام ماذا يفعل المؤتمر في هذا الاتجاه؟

● **لقد استصدرنا الكثير من الوثائق التي هدفها إزالة هذا الخوف من وعي الساكنة والشعوب الأوروبية، ثم كان هناك اصطدام خاص بفرنسا، حيث تقر فرنسا أن «الإسلاموفوبيا» ليست جريمة، وأن لكل إنسان الحق أن يأخذ النظرة التي يريد اتجاه أي دين، وأن نقد الأديان حق من الحقوق الأساسية.**

لكن لماذا لا نتحدث أيضا عن «الغربوفوبيا» التي هي أيضا نتيجة للإسلاموفوبيا، وهما معا نتيجتين جدليتين، لماذا ننظر للغرب على أنه بلد كفر وضلال، من حق الغرب أيضا أن نغير صورتنا عنه. الغرب أيضا به شرفاء وأناس يحملون مبادئ ويقاسموننا النضال ضد الظلم والتمييز، يجب أن نميز بين الغرب الإثني والغرب الجغرافي والغرب الثقافي.

□ ماهي في نظرك الحلول التي تفرض نفسها بشكل مستعجل؟

● **لا سبيل سوى التواصل، والخروج من المقاربات الرسمية، يجب أن تترك الفرصة لجمعيات المجتمع المدني والجاليات كي تعرف بالإسلام على أساس الشراكة في مختلف مستوياتها.**

بعد هذه الأزمات ظهر تجار في قضايا الإسلام والهجرة والجالية، وقد عمد البعض إلى إفساد العلاقة التي كانت بدأت تتقوى بين أوروبا ومسلميها، وخلقت الكثير من المشاكل واستغل البعض مواقعهم للإيقاع بالمسلمين في رحى هذه التطاحنات.

* رئيس المؤتمر الإسلامي الأوروبي
• رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا

أهم توصيات المؤتمر الدولي حول «مكانة الإسلام بأوروبا»

من التوصيات الأساسية التي خرج بها مؤتمر «أونفيرس» ببلجيكا سنة 2010 حول «مكانة الإسلام في أوروبا الجديدة»، تجديد إدانة ظاهرة الإسلاموفوبيا والتشويه المتعمد للإسلام، مع التأكيد أن ترويج هذه الظاهرة في المجتمعات الأوروبية لا تخدم الاندماج الإيجابي للأقليات المسلمة والأجنبية فيها، بقدر ما يؤدي إلى الإساءة إلى شريحة مهمة من المجتمع الأوروبي، ومن ثم إقصائها من المشاركة البناءة في المجتمع.

كما أكد المؤتمرون على ضرورة إعادة النظر في العديد من المصطلحات المستعملة في السياق الغربي، كالإرهاب والجهاد والتطرف والخطر الأخضر. وكذا على المبادرة التي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لإقامة أسبوع عالمي للوئام بين الأديان، وذلك في الأسبوع الأول من شهر فبراير من كل عام، ودعوا إلى تبني مصطلح الوئام إضافة لمصطلحات التسامح والتعارف والتعايش. المؤتمر كان قد دعا، أيضا، إلى استحضار الجوانب الإيجابية والمشرقة في التعريف بالإسلام، مع الإشارة إلى أن الحالات المنحرفة حالات استثنائية تحدث في مختلف الثقافات والأديان، لا ينبغي أن تؤسس عليها الأحكام والمواقف الإعلامية والسياسية، التي من شأنها أن تسيء، ليس إلى المسلمين فحسب، وإنما إلى المجتمع الأوروبي بشتى مؤسساته القانونية والحقوقية والأكاديمية.

وتبقى أهم توصية خرج بها مؤتمر «أونفيرس» الدعوة إلى تبني خطة المجلس الأوروبي المعتمدة يوم 23 يونيو 2010، الداعية إلى رد الاعتبار إلى المكون الإسلامي داخل المجتمعات الأوروبية، عن طريق الحد القانوني من حملات الإساءة الظالمة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون، كقانون منع الحجاب ومنع المآذن في سويسرا، والإساءة إلى المقدسات والرموز الدينية، مع التفعيل الجاد لمختلف التوصيات المتعلقة بتصحيح صورة الإسلام من الأفكار النمطية والأحكام المسبقة، المقحمة في التقارير الإعلامية والمناهج الدراسية والأعمال الأدبية والفكرية.